

عشــتار

شعر : زهير غانم

وقتلنتني

هل قلتُ شيئاً غير معقول هنا؟

أم أنّ وردك وردنا ؟

كان الغناء لنا ..

وللأشجار صمتُ الليل : والحلمُ .. الذي يتفجّر الصبواتِ ، كنتُ أحيثُ الأمواتِ ..

كنتُ أبوحُ بالعطر الذي أهديتني .. ووجعتُ .. جئتُ من المساءِ كما العمامُ ..

وجئتُ .. لكنّ لم أكنُ أتعهّدُ المدنَ الشقيقةَ بالرؤى والأمنياتِ ،

ولم أكنُ حينَ ارتكنتِ إلى الهواءِ .. شهقتُ أولَ شهقةٍ في الحبِّ

ثم قتلنتُ أنتِ قتلنتني ..

ويلدُ فيك دمي .. في صوتِ المنافي .. شارعُ القبلاتِ .. حتى في صغير القبرياتِ تمطني أفقاً

.. وتفتتحُ الفضاءَ .. فكيفَ كان الماءُ في رملٍ يعاودُ حرقَةَ الشهواتِ ؟ كيفَ اللحمُ

والرغباتِ ؟ كيفَ الحلمُ والعبراتُ ؟ كيفَ دنوتِ مني .. من تباريحِ البكاءِ من الندى والشمسِ

والقمر السماءِ .. من النجومِ .. من العراءِ .. وكيفَ .. ؟

ثم قتلنتُ أنتِ قتلنتني ..

هل قلتُ شيئاً غيرَ ما أورتنتني ؟

صفةُ الشقاءِ .. ورعشةُ العمرِ الجميلِ .. رمادَ يومي ، والأماسيَّ الشهيدةِ .. والصغارِ

يشقشقونَ كما العصافيرُ التي تنوي ، وتوشكُ أن تهاجرَ .. والترابَ وما يفكرُ في الترابِ

.. من النباتِ ، وما يفضضُ في الغيابِ .. من الغرابِ وما يبشّرُ بالأسى والموتِ أو صحو

العذابِ .. وقد قرأتُ حكايةَ جدلي عن العشاقِ ..

ثم قتلنتُ أنتِ قتلنتني ..

هل قلتُ شيئاً غيرَ ما كلمتني ؟

عن نزفِ ذاكرتي وأشواقي .. وعن أمي التي صارتِ صدى .. عن غابةِ الأصواتِ والشعراءِ

.. يحترّبونَ حرباً خارجَ الشرفِ المحبِّ وخارجَ الشرفاءِ .. والمقهى وقد خسرتُ رهافتهِ

مشاعرَ من نودُ .. ولم يكنُ من أصدقاءِ .. يتوجونَ الوقتَ والإنسانَ والصحوَ الرغيدَ .. ولم

يكنُ في

الطاولات ولا الكراسي غيرُ شجورِ فاتنٍ ٠٠ وجحيم منفي واغتراباتٍ إلى الأضداد ٠٠ من
يستحضرُ الأرواح ٠٠ يرشفُ قهوةً ٠٠ ويمجُ دخاناً ، وينفثُ ناره، وينوءُ بالنندم المعبأ بالأسى ،
أو يرتمي من شاهق الحسرات ٠٠ حين نأيتُ ٠٠

ثم قتلْتُ : أنتِ قتلْتني ٠٠

هل قتلْتُ شيئاً غيرَ ما أضنيتني ؟

كانتُ مرايانا على الجدران ٠٠ كنا داخلينَ إلى المرايا ٠٠ عندما سقطتُ نيازكنا ، تعثرَ خطوكِ
المرئيُّ ٠ . وانسدلتُ على أطيافنا العتماتِ . كنا شمعتين شهيتين تذويان الليل والأسرار . كنا في
الجرار كنطفتين تغادران لزوجة الرحم الموثث مرةً ، وتجاهران بما تيسرَ من قراباتٍ .. وأنساب
.. وقلب طاعن في الماء .. روح شاغر بالوجد والأنواع .. كنا هكذا .. وكأننا نحبو على أقدامنا
ذهباً تغافرُ أو تشاجرُ .. أودنا فينا وفي الإشفاق ..

ثم قتلْتُ : أنتِ قتلْتني ..

هل قتلْتُ شيئاً غيرَ ما أعلمتني ؟ ..

وعلمتُ أنكِ شئتني .. أن أتقي شرَّ الحياة ، وأرتقي معراج موتي ، ثم إسراءً إلى وطن يفاخرُ
بالعزاء .. ويعتقُ الفرسان .. لكن حين نقصده يجافينا .. ويذهبُ في الدماء إلى أقاصينا .. إلى
الملوكوت ، والرهبوت ، ثم كائهُ لا يحتفي فينا .. وماذا بعد؟ أسلمنا له الأيام .. وانصرفتُ ليالينا ..
إلى الذكرى أو النسيان .. كنتُ نسييت أنكِ في الغياب إذا الغياب ، وفي الحضور إذا الحضور ،
وفي الخمر وفي الدهور ، إذا تواترت العجائب فيك ..

ثم قتلْتُ : أنتِ قتلْتني

هل قتلْتُ شيئاً غيرَ ما أوهمتني ؟

متوهما او واهماً أني التقيتكِ في دروب الله .. كالنعمي .. وخبزاً فوق رأسي ، تنهب الأطيأرُ
ماشعات من الأشواق .. شوقك تارة إن شئت أو شوقي ، وأعرفُ أنت من يصبو إلي .. ولم يعد
توقني إليك سوى الحريق .. أتوق .. ثم أتوق .. لكن أين أنتِ وأين ما كنتِ؟ وكل الناس دونك
كالهباء .. وأنت في صوتي .. وفي لغتي وحين أبوح بالأشعار والأشجار أنت ، وحين يغسلني إلي
روحي الغبار ، وأنت كالأمطار في نومي .. وفي سفري إلى الأمواج والأدراج .. ماذا سوف أسأل
إن حزنتُ وإن فرحت .. وأين كأسِي . والعناقُ وأينها الأمطار ..؟

ثم قتلْتُ : أنتِ قتلْتني ..

هل قتلْتُ شيئاً غيرَ ما قولتني ؟ ..

قد قال قائلهم .. ومن أقصى المدينة جئت .. حين أتى إليك لكي يراني .. لم يرَ جسداً .. وأظلمت
الثواني .. جثتي تبدو أناقتها على مضمض .. غوايتها على شطط .. وأنسى أنني في الماء ، ماوك
يستبيني ، أو يصلصل في عظامي .. أو يعتقُ صرخة الأعماق في ظلم الشرايين .. وأنت رأيتُ أني
تائه بيني وبينك ، مثقل بالرعب والطعنات ، أو بجنينك الوردِي . حين عبرت همساً في مسراتي
وفي ورق الظنون ، كما وأنت مثلما كانت حياتك كالحياة تحملاً وتجملاً ساري ، ويشبقتي الهوى
والنائبات ، وسوف أصدح بالمواويل القديمة والجنون .

قد قال قائلهمُ ومن أقصى المدينة .. يا زهيرُ قتلْت : قتلْتُ جنانُ !!

ثم قتلْتُ .. أنتِ قتلْتني ..

هل قلتُ شيئاً غير ما أفتيتني؟

فتوى هي الأخرى، وكنتُ أحبّ قلبي أن يحبّك.. أن يجود الآه والصلوات والغفران.. أن يمحو
ضراعتك التي تبدو كماالأشجان.. أن يبقى حليفك كيفما كان الهوى.. يبقى ويبقى وجه ربك ذو
الجلال، وذو الجمال.. وليس أجملُ منك حتى في الضلال وفي الظلال.. أقول أقوالي مداورة،
وأشهدُ "هكذا استشهدتُ" أشهدُ لا حياة إليك لا جدوى.. أحبك مثلما البلى. أحبّ الحب فيك..
أحبتني.. ورأيتُ أني أكتب اللغة التي لاتستردُّ نصاعتي وروايتي .. لاترفس الظلمات ، أظلم
فيك.. أنتِ الضوء والكلمات... أنتِ نقيضُ أهتي..وأهتي.. وأنتِ اللات.. عشتارُ التي أنتِ ولا
شبهات..

ثم قُلتُ أنتِ قتلنتني..

هل قلتُ شيئاً غير ما أسررتني؟..



يصدر قريباً

عن منشورات اتحاد الكتاب العرب

موافيت أحزاننا

أحمد ضيف الله

العواضي.....شعر